| | |
|---|---|
| الوحدة | التاريخ والثقافة والفنون |
| المحور | أنثروبولوجيا التراث المغربي |
| المجزوءة | التراث المطبخي وآداب المائدة: قضايا ومقاربات |
| الدرس | الأول |
| عنوان الدرس | مدخل إلى الأنثروبولوجيا |
| التقديم | د. عبد الرحيم العطري |
| مجال الاشتغال | • هوية المطبخ المغربي<br>• تاريخ المطبخ المغربي |

أعزائي الطلبة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛

مرحبا مرة أخرى في درس جديد من دروس التاريخ والثقافة والفنون؛

دائما في إطار اشتغالنا على أنثروبولوجيا التراث المغربي، سنخصص درس اليوم لمدخل تمهيدي للأنثروبولوجيا، لنتعرف على على أساسيات هذا العلم ومجالات استغاله وطرائق قراءته وتأويله للطقوس والرموز، فضلا عن التعريف بالهوية المغربية ومكوناتها وروافدها المتعددة الأبعاد والانتماءات. فإلى البدء

+++

إذا كان علم الاجتماع يعتبر الإنسان كائنا اجتماعيا، فإن الأنثروبولوجيا تنظر إليه باعتباره كائنا ثقافيا رامزا، يتواصل ويتفاعل مع الوقائع والسياقات بكثير من الرموز والطقوس. ولهذا كثيرا ما انشغل مؤسسو الدرس الأنثروبولوجي بالمعنى الذي يعطيه الإنسان لممارساته الثقافية والاجتماعية، والذي ينطوي على "نظرة مخصوصة للكون" the world view وفق تعبير ماكس فيبر.

+++

تتشكل الأنثروبولوجيا من كلمتين وهما أنتروبوس وتعني الإنسان ولوغوس التي تدل على العلم والمنطق، ومنه نقول بأن الأنثروبولوجيا هي علم الإنسان أو الإناسة، والذي يسعفنا، من البحث الإثنوغرافي إلى التأويل الأنثروبولوجي، في دراسة الاستراتيجيات الزواجية، القرابة، طقوس العبور، التراث المادي واللامادي، العادات الغذائية، ومختلف الأنشطة الإنسانية، وذلك في إطار

الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية أو الحضرية أو الرقمية...فالأنثروبولوجيا هي العلم الذي يعمل باستمرار على ترجمة وتأويل الثقافات الإنسانية حسب كليفورد غيرتز.

+++

إن اشتغال الأنثروبولوجيا على الإنسان ككائن ثقافي، يجعلها تنظر إليه في مختلف أبعاده الثقافية والبيولوجية والإثنية واللسانية والتاريخية...، انطلاقا من سعيها الدائم إلى فهم وتأويل التنوع الثقافي وثراء العادات والتقاليد والمعتقدات والطقوس والرموز التي تعبر عن قدرة الإنسان على التفاوض مع المجال وتحدد انتقاله من الطبيعة إلى الثقافة.

+++

إن الأنثروبولوجيا كعلم منهجس بإنتاج المعنى، يركز اهتمامه على هذا الانتقال الدال في تاريخ الإنسانية من الطبيعة إلى الثقافة، والذي يتصل بلحظات وحوادث فارقة من قبيل اكتشاف النار والعجلة والمطبعة، فضلا عن الزراعة والانتقال من الترحال والانتجاع إلى الاستقرار وما إلى ذلك صياغة الطقوس والمعتقدات، وإنتاج وإعادة إنتاج المؤسسات والوقائع السياسية والاجتماعية، ففي كل هذه الخطابات والممارسات يوجد المعنى وتتأسس ممكنات التأويل الأنثروبولوجي لسؤال برنار لاهير القوي: "لماذا يفعل الناس ما يفعلونه؟" وذلكم هو مطمح الفهم لدى السوسيولوجيين والأنثروبولوجيين.

++++

وعليه فإن درس أنثروبولوجيا التراث المغربي، الذي نسعد بتقديمه لكم عزيزاتي الطالبات أعزائي الطلاب في إطار وحدة التاريخ والثقافة والفنون، سيكون بمثابة تفكير علمي في أحد مكونات هذا الكون الثقافي الهائل، وهو التراث المطبخي المغربي، والذي يعتبره الأنثروبولوجي مدخلا أثيرا لقراءة تاريخ المجتمع وتحولاته.

فكل طعام ومهما كان شكله وانتماؤه، لا ينحد عند مستواه المادي الصرف، وذلك في مستوى سعرات حرارية ومكونات بيولوجية وصحية، وإنما هو إمكان وتعبير ثقافي عن المعتقدات والتصورات والبناءات التاريخية والسوسيومجالية للأفراد والجماعات. ولهذا فإن التفكير

الأنثروبولوجي في التراث المطبخي وآداب المائدة هو بحث مستمر في الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة، فالعادات الغذائية والمواد والأدوات المطبخية والتقنيات والوصفات والأطباق الطعامية والاستراتيجيات الإطعامية، كانت في صميم هذا الانتقال، ومحور كثير من التحولات التي عرفتها الإنسانية جمعاء.

+++

لقد تتبعت الأنثروبولوجيا مسارات الطعام منذ أزمنة الصيد والافتراس، إلى أزمنة التتبيل والتنكيه والتزيين، فعلى طول هذه الانتقالات، عرفت الحضارات البشرية الكثير من التقعيدات والإضافات إلى آداب المائدة وسلوكيات الغذاء، ما جعلنا في النهاية أمام جغرافيات لا نهائية من الطبيخ وتمثلات الأغذية والأشربة. وبالرغم من اتجاه كثير من المجتمعات نحو "تنميط عام" للسلوك الغذائي بسبب العولمة، فإن ذلك لا يمنع من استمرارية "محلية" الطعام واختلافاته ومقاوماته ضدا على كل ممكنات التنميط.

لا ينحد السؤال الأنثروبولوجي عند مستوى إعداد الطعام و تبادله و ترميزه، بل يمتد أيضا إلى مستوى توضيبه وتنظيم أشكال أكله واستعماله، من خلال التفكير في آداب المائدة، وفق قواعد و طقوس منمطة، يجري تقعيدها وصوغها باستمرار عن طريق التنشئة الاجتماعية والصياغات الثقافية الممكنة. فآداب وعادات المائدة التي تكون أحيانا حكرا على مجتمعات بعينها، أو مشتركة بين "الإنسانية" وعابرة للثقافات، تعد في صيغها وتفاصيلها مداخل مهمة لقراءة "النظرة إلى الكون" التي تميز مجتمعا عن غيره، وتفسر امتدادات وآثار المقدس في تحديد الشكل والمحتوى الغذائي.

+++

أخيرا يتوجب التأكيد على أن الهوية المغربية التي تتشكل من ثلاث مكونات وهي: المكون الأمازيغي والمكون العربي الإسلامي والمكون الحساني الصحراوي، فضلا عن روافدها الإفريقية، الأندلسية،المتوسطية، العبرية، وفقا لمنطوق دستور 2011، تلوح بكل احتمالات الثراء الهوياتي في العادات والطقوس والممارسات الغذائية، وتنعكس في تدبير وإنتاج كثير من الأطباق والفنون

المطبخية، ما جعل من المائدة المغربية ملتقى نموذجيا لحوار الأديان والثقافات وتلاقح الشعوب والحضارات.

+++

لا تنسوا أعزائي الطلبة، تعميق المعارف بالقراءة والبحث والتفكير النقدي، مع متمنياتي لكم بالتوفيق والتميز، وإلى لقاء قريب، دمتم بألف خير.